مجموعة شعرية قصصية فنية

بقلم وريشة: الأخضر بن هدوقه

الصِّرَاعُ

عاصمة الثقافة العربية

ج، 155

مجموعة شعرية قصصية فنية

بقلم وريشة: الأخضر بن هدوقه

الصِّرَاعُ

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

رقم الإيداع القانوني 824 - 2007 المكتبة الوطنية

ردمك 1 - 1641 - 0 - 9947 - 978

تم الطبع بشركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع عين مليلة

2007

الهاتف: 032.44.92.00/032.44.95.47

الفاكس: 032.44.94.18

www.elhouda.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهداء

إلى أمي ....

إلى أبي ...

إلى وطني العزيز

إلى أخي في العروبة والاسلام

إلى أخي المقاوم المجاهد في قلب بغداد

إلى أخي المقاوم المجاهد في فلسطين

أضع بين أيديكم هذه الباكورة الأدبية الفنية من أجل تجسيد تلك الأحداث المأساوية التي مرّ بها وطننا العزيز أو التي يمر بها وطننا العربي خاصة القضية الفلسطينية والمقاومة العراقية الباسلة فشكرًا لمديرية الثقافة لولاية برج بوعريريج على التكفل بطبع هذا العمل الأدبي الفني وذلك في اطار التظاهرة العربية «الجزائر عاصمة الثقافة العربية لسنة 2007».

الكاتب: ابن هدوقه الأخضر

المنصورة في: 2007/2/15

قبّل

النـــــــور يـــــــنتحر
الجهـــــل يـــــنمو يزدهر
والمركب المسكين المسكين يغرق
هـــــناك فـــــي أفئدتنا
صـــــــار الـجدار أخرس
والعنكـــــبوت فـــي حديقتنا
فـــــي جـــــزيرتنا
فـــــي حـــــرمنا تبيع قبلة
تبيـــــع صدرًا،، تبيع شفة
النـــــــور ينـــــــتحر
الجـــــهل ينـــــمو يزدهر
الأرض تبـــــكى تحت أرجلنا
الشمس تغـــــلي بين أضلعنا
وأنـــت ســـيدي شفرة قبل
وأقتل تجاعدك في مكياجها
وارحل بعيدًا بين هاتيك الشفاه
امـــــلأ حـــــقيبتك شهوة
فأنت لم تعد وترًا،، قمرًا،، بشرًا
ضيعت أوراقك في جزيرة الخريف
فـــالان ســـــوف تـــغرق
المطر آت،، السيل آت،، آت
النور ينتحر،، الجهل ينمو يزدهر

نشرت في أسبوعية الحقيقة تحت رقم 22 بتاريخ 29 أوت 1995

ملحمة الجزائر

جزائرنا يا رياض الأماني ... ويا وردة من وسام الخلود
عشقنا هواك فصرنا عبيدا ... نغني نشيدا رواه الجدود
وسرنا بعيدا نناغي الروابي ... ونلهو كطفل يحب الصعود
بذرنا رباك غراما وحبّا ... وزهرا ضحوكا كحمر الخدود
لأجل جمالك قمنا نصلي ... ليصبح خصرك تاج الأسود

*** *** ***

ثلاثون عاما مضت وانقضت ... كلمح الخيال وطيف السحر
وأنت عظيمة في قلبنا ... وحبك ينمو كضوء القمر
بلغت من العمر أوج ثراه ... وامجد فوز بعيد الشرر
فمدي يديك لنا واتحفينا ... بأجود لحن يهز الوتر
وغني لنا أروع الأغنيات ... من الجبل المرتضى جرجره
وقصي لنا قصصا خالدات ... وملحمة من صدى المقبره
جزائرنا الفتنة الساحرة ... جزائرنا الأعين النادرة
جزائرنا الثورة القاهرة ... جزائرنا الحرة الزاهرة

*** *** ***

نوفمبر ياصرخة وحسام ... نوفمبر ياصرخة في الهضاب
عظيم فأنت شحذت حديدا ... تحدى ظلام العدى والعذاب
فلا عدة الأطلس الكاسحات ... أطاحت بنجمك قرب الشعاب
ولا خطة الغدر والمغريات ... أزاحت نظامك عند الحساب
من الأطلس التلي نبع البنود ... من الونشريس حميم العقاب
رقصت كثيرًا بقلب الأجيج ... توحد شملا تدك السحاب
وفي صدرك جبهة للخلاص ... وفي زحفها قسم وعقاب

نسفت قلاعك لظلم بليد وارسلت ريحا تقود الشباب
رجالا من النار لبوا النداء وزجوا بأنفسهم في العباب
وخاضوا المعارك رغم العراء وهزوا جسور الحديد الصلاب
فكنت لهم مركبا في المآسي وأنشودة من لهيب التراب
جزائرنا يا ملاك الهوى ويا منبعا من دماء الأباة
مسحنا دموعك بعد النوى وخضنا وطيسا لأجل الحفاة
فلم يبق حقل بدون سواقي ولم يبق سهل بغير رعاة

***

هتفنا لأجلك خضنا البنا وما انتظرنا صديق يجود
دفعنا المراكب ثائرة وطفنا بثورتنا في صعود
نعلي ونبني حضارتنا ونحمي تراثا سليل العهود
ليحيا نوفمبر في سهلنا ويرقص طفل، حفيد الفهود

***

لعمري أنا اليوم أعبدك احلق خلفك اسقي الزهر
طروب أغازل سيدتي وانحر فيك ظلام هجر
أنا الشعب طود يهز العدى وصقر إذا ثار دك الخطر
ورعد شديد إذا ما صحا أذاب السحاب سيول مطر
إليك قسمت فيا وطني على أن أنور فيك القمر
واحفظ عهد أخي الخالد شهيد الكرامة نور البدر
فهذا دليلي أسير به وهذا وسامي وسيفي الأغر

ملخص من ملحمة شعرية طويلة

القصيدة تحصلت عالى الجائزة الثانية بمناسبة ذكرى أحداث الصومام 1982

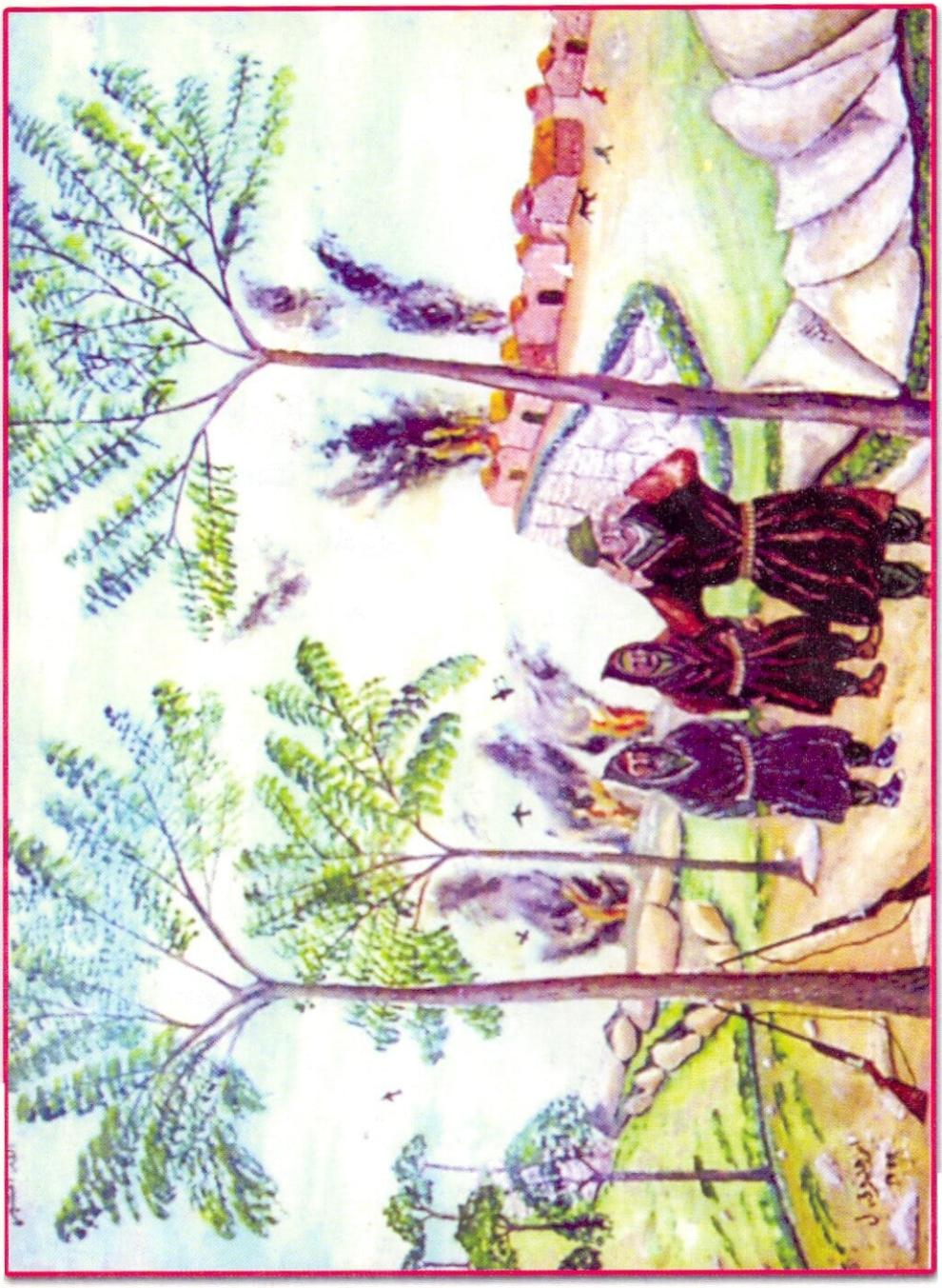

خط موريس

أغنية الخالدين

بلادي بلادي جزائر حبي ... وقلعة مجد ومهد الأمير
أنا من تحدى ظلام الليالي ... وكبس العدى في لج سعير
فثرت كطود أجر الفيافي ... كتابي سلاح بأرض النفير
أشد الثريا بعزف الأماني ... على هضبة النار وقع زئير
سحقت القيود كشبل الروابي ... وبت أصارع كل حقير
ركبت نوفمبر درب صمودي ... وطفت بنهر الكرامة أسير
فلم أتحسر لداء الصقيع ... ولم أتذمر لهول المصير
فكم من تلال تغنت باسمي ... ولحن الرصاص يسد الزفير
فيا جبل الونشريس المفدي ... ويا ذرة من تراب الحرير
أنا اليوم شعب بلغت المعالي ... وطفت بحقل البناء سفير

***

فلم يبق فج يئن بكاء ... ولا سقم يحيا هناك أجير
فكل السهول تعاطت زهورًا ... وأضحى الجمال لباس الفقير
ربيع وحب سلام وأمن ... وسعي حثيث ورقص الغدير

***

جليت أيا معبدي وهيامي ... ويا كوكبا في سماء الأثير
ويا وردة من حنايا نوفمبر ... نمت كالملاك بجيد أسير
تعال تقدم ودعني اصلي ... صلاة النسوك لروح السفير
فاني مدين لصحو القبور ... وصمت الرياح وسيل غزير

***

الهجوم على سيدي فرج سنة 1830

نداء

هلم أخي أيها العربي ... نشد الرحال لسحق الضباع
بقلب فلسطين فج جريح ... وعين دموع يغطي البقاع
وفجر حزين خجول المحيا ... وأيك سجين وقدس مباع
وثغر أسير بأرض الكنانة ... وشعب عريق جريح الذراع
فأضحى شرودًا يتيم الأمومة ... وأمسى غريبا بدون شراع

***

إلى القدس هب يدك الطواغي ... وقاد العواصف رغم القراح
فلم يستكن لرعاة السراب ... ولم يستجر غير سيف الفلاح
ولم يبق صبر يقود المساعي ... ولم يبق وعد دليل النجاح

***

كفاك عروبتنا من شرود ... كفاك فهيا نزيح الجراح
أطلت الرقاد بواد السكوت ... متى تنهضين لصد الرياح؟
متى تنجبين صلاح الفيافي؟ ... متى ترفضين سكون الرماح؟
ألم تخجلي من سباب القبور؟ ... ألم تبلغي الآن عار النباح!؟
لعمري فهل قلبك من حديد!؟ ... أجيبي أجيبي كفانا المزاح
واخوتنا في جحيم الإبادة ... وبيروتنا بين هول الصياح
فهل أعجبتك صلاة الجلان ... وجوهرة الشام ترعى الحطام
وكل القصور تهاوت ركاما ... وأمسى الهشيم أمير السقام
وغابت نجوم تغنت كثيرًا ... وعم البلاء شراع السلام
فأين السكينة وأين الأمان؟ ... وأين الإخاء؟ وأين الوئام؟

***

فويل لمن اصطفاه السجود ... وحب الرضوخ وسقي الرذيلة
وويل لمن استضاف اليهودا ... وبيع العروبة وطمس الفضيلة

***

فهبي يدًا في يد وأعلنيها حروبا تعيد نصاب الرحام
تعيد الأماني لجيل الربيع وتزهو فلسطين مهد الحمام

نشر في جريدتي النصر والشعب سنة 1982 تحصلت على الجائزة الثانية في المسابقة الأدبية التي نظمتها لجنة الحفلات لمدينة الجزائر سنة 1982

سنعود يا فلسطين

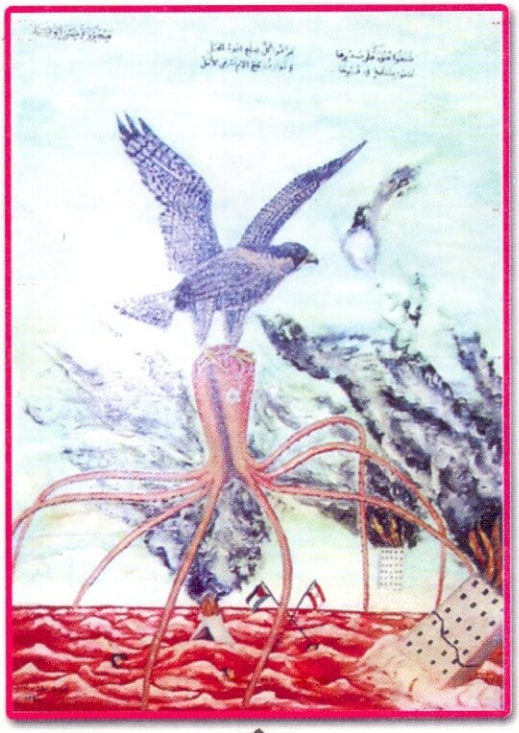

مجزرة صبرا وشتيلا
(لبنان)

سفير

سفيـــــر أنا فـــي ثـــراك فـــتحت نـــوافذ جرحي
ســفـيـــــر إلـــى حـيـــث لا أدري
وحـــيـــــد بـقـــــرب الـرمـــاد كنست دمـــانـــي
وحيـــــــدا بـــــقرب اللـــهيب دفـنت ندائي
حـــكاية رعـــب نـحـــرت صبـــاها
جـــــــنازة ورد مـــــسحت أســـاها
سفـــير على خصرك الآن أحمل أمتعة الرضوخ
سفيـــــر وفـــي معـــصمي تســكن الطعنة
سفيـــــر وفـــي مكـتبي تسمر اللعنة
سفيـــــر وفـــي مقلتي تزهر النكبة
سرقـــــت قصـــــيدًا، وســـــجنًا، وجمرًا
وبيـــــروت ملـــحمة الجـــرح أنت نشيدي
وراء فـــــــصـــول الـــــحصار
وراء صـــــــراخ الصـــــــغار
وراء هـــــــديـــــر الـــــبحار
وقفـــــــت قـــليـــلاً أفـــكر لأفكر
وفـــــــكرت أيـــــضا وغـــصت بعيدًا
هناك بضاعة موت مكدسة، وجرذ غبي يرصف ضحكا
وطـــــفل نحـــــيف يـــعثر نصرًا
خـــــرائط بـــــرق ورعـــــد وعـــيد

ولـــــــيل بـــــــلا مـــــــوعد فـي الجليد

وأم تـــــــوارت بـــــقلب شـــــتيلة تشرد دمعا

تصـــــــفـــــف مـــــــــــــــــــوتا

تعـــــــــــــــطر قـــــــــــــــــبرًا

سفـــــــــير أنـــــا فـي ثـــراك فتحت نوافذ جرحي

سفيـــــــــر إلـــــى حيـــــث لا أدري

نشرت في النصر 1985/05/13

حصار البدوي (بيروت 1982)

همسات راقصة

لـــك الفـــــأس والأغـــــنيـــات
لـــك الفـــجـــر والـــبســمات
ولـــي بـــــسمة الـــماضي والـذكريات
أنـــا أنـــت...أنـــت أنـــا تـــوأمان
كـــلانا أتـــى مـــن صـــفير الرياح
كـــلانا صـــحا في شـــطوط الجـــراح
فهـــل تـــذكرين أنـــين الصـــباح؟
وفـــزع الصـــراخ وهـــول البـــحار؟
أنـــا أنـــت...أنـــت أنـــا تـــوأمان
ولـــدنا مـــعا فـــي زفـــير الصـــباح
أنـــا فـــي وجـــنتيك أصـــحو بكأسي
وأحـــصـــد قـــمـــحا
وأنـــزع رمـــحا
وأرفـــع صـــرحا
وجـــنتـــيك بـــالـــورد فـــي أضلعي
وجئـــتك بـــالشـــمس فـــي مـــجمعي
وجـــئتك بـــالـــماء مـــن منبعي
فهـــل تـــرقصين الآن، وهـــل تعزفين قصيد المطر؟
أقبـــل عيـــنيـــك ذي الحـــلوتين
وأمـــضـــي ألاحـــق لحـــن الشجر

وهمـــــس الـــــورود وضـــــوء القـــــمر

يمـــــوت الســـــراب فـــــي قـــــبضتي

يـــــذوب الصـــــقيـــــع فـــــي نبـــضتي

يعـــــود الـــــربيع وتـــــمـــشي الخراف

لتـــــنـــشدي جـــــزائـــري ثـــــورتي

لـــــك الـــــفـــــأس والأغـــــنيات

ولـــــي بـــــسمـــــة الـــماضي والذكريات

نشرت بجريدة الشعب الأربعاء 4 جانفي 1995

إلى روح الشهيدة اللبنانية: سناء محيدلي

تقاسيم

اكتبوا سجلوا اسمها ملكا ... واغسلوا شعرها برذاذ الحرم
خلدوا حبها ثورة في الدنى ... يتغنى به المنتدى والعلم
وردة عصفت شعرها بالمنى ... وارتدت بسمة من دموع الشيم
وهبت روحها فدية للسلى ... وتعالت تسبح رب القيم
لم تمت أبدًا إنّها في الثرى ... لم تمت إنها في كتاب الأمم

اسمعي ياسناء كيف يبكي المطر

هو لبنان يرقص في جرحه ... فاسمعي نعيه في ظلال الكفن
هائم خلف أمواته شاردًا ... وخرابه يعانق صمت الزمن
فاختفى موسم العرس من عرشه ... وبدا العار يروي قصيد الوهن
لم يعد للحياة مكان سوى ... نكبات تلوك بقايا السفن

واسمعي لأنين ضياء السمر

أين بيروت؟ أين صباها الذي ... هيج البحر أنشودة وغزل؟
أين دبكتها؟ أين رقصتها؟ ... عجبا كيف يخرس لحن البطل
ويذوب الجليد وتبقى بلا ... سترة في وهاد تجوب الدغل
وتسير إلى حيث نكبتها ... ومع الأرز تبكي وتبكي السبل
لا حبيب يدثر قبلتها ... ويناجي أساها بحب أزل
لا طبيب يعالج دمعتها ... غير خبز حواه جنون الذل
شنقوا عنق صبرًا على صدرها ... مزقوا كل ضلع أبوه الجبل
نسفوا بشتيلة في قبرها ... وتوارت مع الأم تسقي الأمل

ابشري وارقصي قد أتى المنتصر

واسمعي لسيول الحجارة كم ... تطرب في فلسطين صمت القمر
فتية حطموا الرعب في وحدة ... فتية افرشوا صدرهم للجمر
فتية فجروا صبرهم غضبا ... فلتكن ثورة زحفها ينتصر
سكن الجن قلب اليهود فما ... أدركت رشدها في أجيج الشذر

وتهاوت برغم مجازرها تحت قصف الرعود ولحن المطر
لاسماء تغطي جرائمها بعد أن أدرك الكون صدق الخبر
لاهواء يلطف من طيشها غير نفي الشباب بغض النظر
غزة هاهي اليوم شامخة كملاك يشيع ابن القدر
وعلى وجنتيها طفت مسحة تحرق الغاصب الهستري المحتقر
وتقص روائعها للقرى انهضي زلزلي باليهود السدر
نغرس الرفض أنشودة حيثما ساحة الخلد أين يصلي القمر
غردي ياطيور المني غردي هاهنا القدس عطشانة للمطر
ثورة نجمها زاحف في الفضا فارقدي ياسنا واعزفي بالوتر
قد تعبت لذا فاسكني جنة فغدا سيلوح رسول السمر

الشهيدة سناء محيدلي
(بيروت)

قلب الجزائر

قفوا واهتفوا يارفاق الكتاب ... لذكرى المعالي وطيف القلم
لنجم سما في ربوع الكفاح ... وقال الجزائر حبي الاشم
فلا أجهدته دروب العذاب ... ولا عرف الخوف مهما نكب
تبنى العروبة باسم الشهاب ... ودين العدالة نور وهب
أطاح بغزو النشيد الفرنسي ... وثار يجاهد ضد الكذب
وجمعية المسلمين إمام ... إزار البصائر تاج العرب
تعد الشباب لحفظ التراث ... وحمل السلاح وشحذ الخطب
فيا بارع في فنون الجهاد ... شحنت العقول بنور الكتب
بذرت الأصالة رغم الجراح ... وفزت بتأشيرة في النسب
سهرت الليالي هزمت الأعادي ... وما قلت يوما بلغت النصب
عظيم تغنت بك الشامخات ... مساجدها للرواة مصب
عبرت جحيما لأجل الحفاة ... وغصت ببحر تشد العطب
تركت لنا مرجعا في السماء ... ندك به قارعات الحقب
فما انتحينا ضفاف المعالي ... سوى أنت فيه إمام وأب
فصار لنا مجلس في الفضاء ... وأجنحة من سراج الذهب
ومرقدنا عند سهل النشيد ... وموردنا من أصيل الكتب
فيا ابن باديس شمس الشروق ... ستبقى وساما عزيز الهمم
ستبقى ملاكا كتاج الربيع ... رعاه الصباح يغني القمم
لتحيا شريفا ونورك يرسو ... وجيه يعلمنا في الشيم
لتحيا شريفا وحبك ينمو ... وصيتك يعلو بلحن القيم

جـزائـرك المعـجـزات الـتـي غسلت رباها بحبر العدم
تبارك فيك حكيم الظلام وبـدرا سـقـاه شـروق الحرم
وتهمس في أذنيك حبيبي لتغفو هنيئا أخذت القسم

الرقصة العشرون

يا من تحجزين ماء الكوثر في الدقيقة العشرين

في رقصة الصباح

في غفوة الرياح

في قيثارة الجراح

شارع الأوراس مخاض عربي

شارع الونشريس كتاب أزلي

شارع جرجرة سجل ذهبي

انجبت عرسا، وعرسا وعرسا

انجبت وردا، وشمسا، وحبا، وصبيا

فدغدغي عودي، ومقلتي، وقبلي الجراح

وانشدي دمعة، واصلبي النباح

عشقتك وأنت طريحة

عشقتك وأنت جريحة

عشقتك وأنت واقفة كالطود، شامخة، بعد أن صنعت أسطورة القدر

وسرت أغطي الحرف العشرين

الغصن العشرين

الحقل العشرين

لن يقرأ الماضي حسابا مشوشا

أبَداً، أبدأ بعد الآن

سأصلي، وأصلي، وأمشط شعرك المتدلي

فوق أهداب السنبلة العشرين

وأنت حبلى، وأنت سعدى

وانت تسبحين، ترقصين بين أرقام الضحى

والقيد ما زال يتآكل، والحب ينمو، يتزايد، يتكاثر

حيثما يبرعم الفجر الآتي

النغم الصيفي

ويقرأ المطر ترحال الشتاء

يرسم خارطة القطر بين همسات الدستور

تتبوئين الآن مهد رجولتي الأخرى

أعبدك قلت لا أعلم

أعبدك لحن قلم

لست أكذب، فإني لست من الأزل، أنا من تلاوة المشعل

المح في عينيك زهرا، وهمسا

حين تضحكين بين إيقاع السنابل

فلنرسم على الجبال، والوهاد، والعظام

ولنسمر على حدبة الإعصار أين يسجن الظلام

الدنيا قيلولة معقمة تعبث بحبنا

لتعصفي أختاه بالموانئ والبحار

ألبستك عباءة الصمت كي ترقصي

كي تهزجي خلف أسوار نوفمبر، متن جراح ديسمبر

أهديتها لك خلف جدار الميلاد

حين سكنت عيد الميلاد

حين نسفت جسور الفساد

أختاه، أماه، يامن تعقصين شعرك بماء الكوثر

أعبدك لا أعلم

أعبدك لحن قلم

المنصورة في 1983/01/01 نشرت بجريدة الشعب سنة 1984

كلمات إلى روح مفدي زكرياء

سهم الوصال بطل المنابر تحفة ... طلق اللسان شذى القوافي والندى
بطل القصيدة والعواصف والجذى ... روح الجزائر والسلام والفدا
أوراس يشهد أنك الروح التي ... دكت براكين النواصي والعدى
لا السجن لا الجلاد أدرك حلمه ... لا العنف أخرس صوت الحر السيدا
وهبت نفسك للمنى هدية ... بالصبر ودعت الجحيم مغردا
ومضيت تشدو للجبال روائعا ... نبراتها صبت رصاصا مجلجلا
ونفخت في قلب الجزائر ثورة ... خرت لها قمم الجبال سجدا
قسما سهرته للنفوس عقيدة ... نسفت صدى التبشير أحلام الردى
وحفرته في الذاكرات قصيدة ... مسبوكة بالنار لحن نفمبرا
هذا شهيد ارتوى من شهده ... قبل الصلاة سما بروحه مكبرا
للّه درك من كتاب قلما ... جادت به الأزمات سيفا مبترا
لبيك قد غنيت أروع نغمة ... للأرض للتاريخ سيرة أسرى
ورسمت بالبترول أجمل لوحة ... وجه الجزائر صار فيها بدرا
الشعب ماض في حصيد ثورته ... وعبيرك الصافي يغذي الثورة
الأرض أضحت جنة في عرسها ... والماء رقراق يناغي الزهرا
والفلاح سيد حبه في عزة ... ملك يصوغ من الحقل كسرا
هذي معالم شيدتها أذرع ... تبني العقول بالعلوم ركبا
للجهل صامدة تشج دماغه ... وعلى منارتها تشق الدربا
فارقد على صدر الدنى أسطورة ... مغسولة بالورد نجم العرب
وابشر فإنك في الوجود مخلد ... انشودة للنور تحمي الحبا

المسؤولية (الأمانة)

عار وخيانة

رعاة الولائم والنفط مهلا ... عذاب الإله شديد مدمر
فلا أرض تنجدكم من سيول ... ستجرفكم نحو حتف مسعر
عروس الحجاز تئن وتبكي ... وتلعنكم كل يوم وتسخر
وبترولكم نعمة للأعادي ... وأنتم به في رغيد مقذر
كلوا واشربوا واسكروا في الملاهي ... فأين ضمائركم ياسماسر؟
فقد عششت بلحاكم شظايا ... وأضحت خناجر في قلب ثائر
وصرتم قطيعا تسيرون حتما ... وبوش يوجهكم للمجازر
بأي وجوه تطلون بها يوما ... على قبركم حين تصحوا الجابر؟
فسيروا إلى حتفكم في سعير ... وذوقوا عذاب الدنى والمجامر
هو العار ياأمتي والصليب ... يدنس مهد الهدى والشعائر!
يدوس سواقي الرسالة باسم ... محام لردع جيوش الكواسر
فأي حياة لكم تحت ذل ... جنته خيانتكم في المصائر
قتلتم حضارتكم في عراق ... قتلتم عروبتكم والبشائر
فدكوا المباني كما اشتهيتم ... ولكن ثقوا لن تدكوا الضمائر
فذاك الحسين سليل الأباة ... يعلمكم كيف تسمو القياصر
يهز مضاجعكم في نفور ... ويقلب عنكم هدير المقابر
رجال من النار صاغوا جهادا ... وللعرب زفوا نشيدا وشمعا
وفي زحفهم راية الله تسمو ... وأمريكا أضحت عجوزا هلوعا
فهيهات أن تدرك عزة شعب ... تحدى ثلاثين ذئبا وجوعا
فكم من حقير رماه الغرور ... إلى تحفه المر يجني الدموعا
عراق بنى قلعة من حديد ... وفجر حلما وأبدع جيلا
عراق جنى من حضارته فخرًا ... ووظف ضادًا وأعطى الدليل

عراق بنى قلعة من حديد وفجر حلما وأبدع جيلا
عراق جنى من حضارته فخرًا ووظف ضادًا وأعطى الدليل
عراق سيبقى قلاع الاسود ومحرقة تحرق الغاصبين
ومقبرة للعلوج أعدّت ستدفنها قبضة الرافدين

نشرت في ديوان: أم المعارك من تأليف الدكتور عبد الكاظم العبودي سنة 1993.

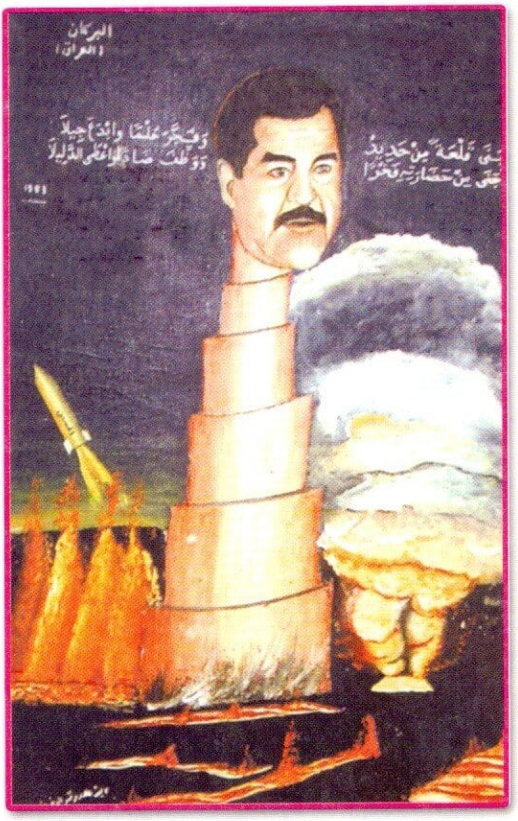

البركان

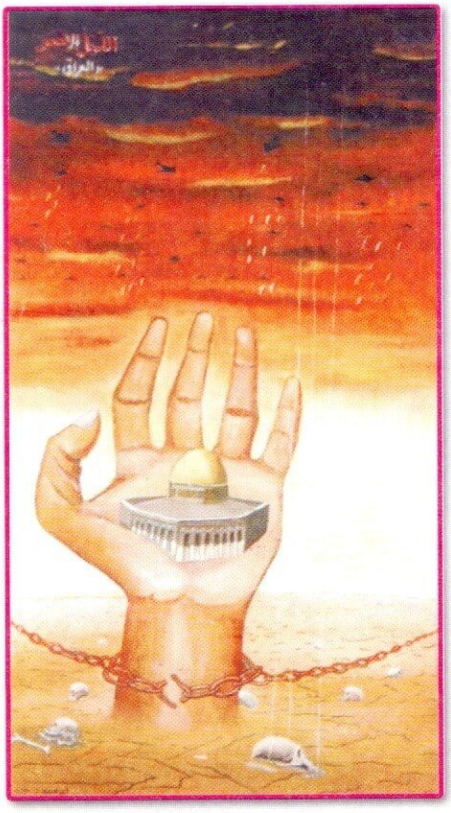

الليل الأحمر (بغداد)

عتاب

أي مـــــعنى للـــوفا!

أي مـــــعنى لـــلأخا!

أي مـــــعنى لـــلهوى!

بعـــد أن صـــرت سعيرًا

لم يعـــد للعـــهد نـــور

لم يعـــد للـــحب جـــسر

كل شيء في الحياة صار مرًا

غصت في أعماق أوجاعك

وأنا أبـــكي أتـــحسر

أتـــــــألم

أتـــقـــطـــع

لم أجد غير نفاق في ثراك يتناحر

أنت يامن تحملين الرياح

كنت يوما مطرًا تسقي الجراح

فلماذا الآن مزقت الصباح

أم ترى أن الحضارة سلختك من أنوثتك؟

لا تفـــري مـــن ســـؤالي

فأنا أعلم ســـر اختـــيارك

فلتعيشي زهرة لكن بدوني سوف تجنـين عـــــذابك

ولتكوني كيـــفماشـــئت

فأنا والله يوم الحشر آتيك بكتابك

إثـــرها سوف تنادين حبيبي

لاتـــزدني في عـــــذابك

لا تـــزدني في عـــتابك

يـــوم تشـــتد القـــروح

حيـــنها يـــأتي عـــذابك

نشرت في جريدة الشعب

يوم الثلاثاء 15 نوفمبر 1994

آه يا وطني

وطن الشهامة والشجاعة والعلا ... يا منبع الأبطال والأسياد
أنت الذي علمتني سر الهوى ... ونفخت في قلبي حياة الهادي
أنت الذي صيرتني فخر الورى ... وزرعت في جسمي عبير الوادي

....

أنا من نما في ليلة مشؤومة ... أنا من أتى للكون دون جناح
أنا من صحا في الجرح بلا والدة ... أنا صخر أنا مدفع وجراح
أنا من طوى الأحزان متاهة ... أنا ثورة وزوابع ورياح
من أضلعي سكب الزمان قصيدة ... للأرض جئت أقبل الأفراح
لا كاهن يثني عباب عزيمتي ... للّه ماض أوقد المصباح

....

لم يبق في هذي المسارح اخوة ... عجبا لدينا صيتها الأشرار
أين الفضيلة والاخوة والوفاء؟ ... أين الشهامة عزة الأقدار؟
أين العروبة أين هم مغاورها؟ ... أين التضامن رافد الأحرار؟
لا الأذن صاغية لنجدة قضية ... فكأنها صماء بالأحبار
مسكينة من أجهضتها طعنة ... في القلب أردتها حمى الأبصار
وطن العروبة دنستك قياصر ... ورمت بك الأوحال قرب النسر
أمسيت مشلول القوى في أودية ... لا سيد يحميك غير الصبر

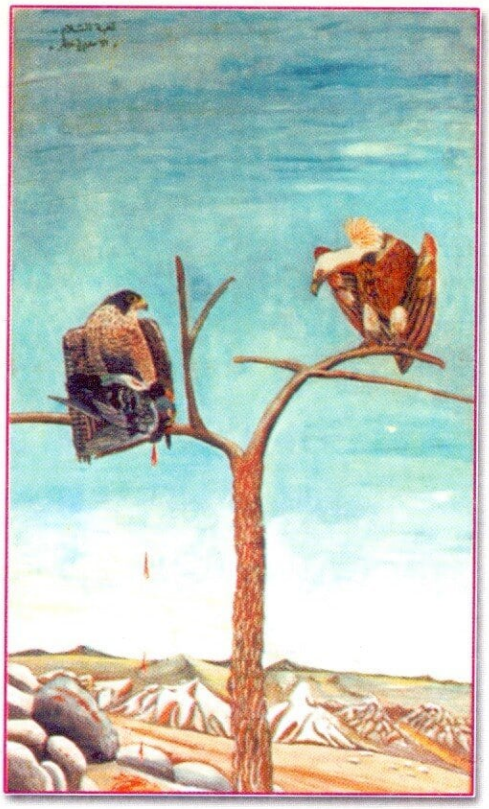

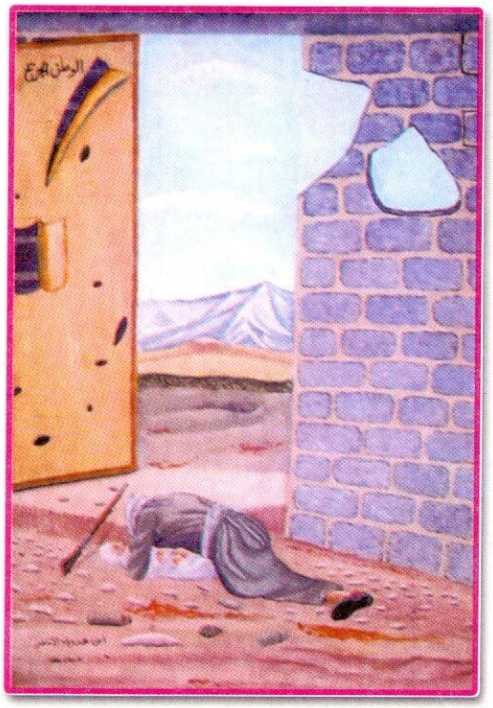
الوطن الجريح

أيها البحر

أيها البحر

ضاع هزار الحياة

مات قبطان النجاة

فلتفكر كيف تحمي ما تبقى من رذاذ الحياة

مركبي ماض يتكسر

وأنا عبد ضعيف

قد رماني موجك العاتي إلى صحراء كاسر

أيها البحر

كسرت جمجمة التاريخ

فجرت أروقة الشمس

بعثرت أوسمة الثلج

مزقت أوردة السد

وأنا أبكي

تحت هزات الكراسي وهدير الملحدين

أيها البحر

صلبوا عقبة في غابة كسرى

أيقضوا يوغرطة الكاهن في حلم الحنين

احضروا ثورا رماديا

ليقيموا زردة

ليقيموا حضرة

وطقوسا، وصلاة، وقراءات على نعش الجنين

وأنا أبكي

وأنـا أجـري تـائـهـا ،، جـائـعـا،، خـائـفـا

في سراديب القبور

أحمل الجرحى

أدفن القتلى

بين صيحات الدراويش

وصقيع البرابول

سقط القصر .. سقط الجسر

سـقـط الـعـمـر ولم يـبـق سـوى ظـل الـسـنـين

وأنا أبكي،، وأنا أجري وأجري

جردوني من كتابي ،، لست أدري

جردوني من حروفي ،، لست أدري

سلخوني من حروفي ،، لست أدري

وأنا أمشي وجسمي عورة

وأنا أجري ونفسي ثورة .. صاعدا .. هابطا

بعد أن ضيعت أوراقي ونايي وغدي

في زحمة الغرب اللعين

أيها البحر

جف ريقي.. جف بطني.. جف حبي.. وأنا أجري

وطني يجري.. وأبي يجري.. لماذا يجري؟.. لست أدري

أيها البحر..... قال لي الدكتور: هذا زمن الشعر

قلت هذا: زمن الجذب.. زمن الخنث.. زمن الجنس
زمن الكرسي.. زمن الظل.. زمن الحيض.. زمن الجهض
أيها البحر
لم أعد أعرف جسمي
لم أعد أعرف وجهي
وأنا أجري بلا عقل إذا شئت أكلت الآن جروي
وأنا أجري
وخلفي وجع يمشي
مدن تبكي
وطن يغلي
وطن يبحث عن نافذة في حانة الخمر
وطن أعياه ترحال اليتامى
ترحال الرصاص
ترحال الدموع
وبراكين الأسى والذعر

المنصورة في: 24 أوت 1995

القصيدة التي تحصلت على الجائزة الثانية في المسابقة الأدبية التي نظمتها لجنة الحفلات لمدينة الجزائر الكبرى

الحرمان (الاستعمار)

إلى أين؟

إلى أين تمضي
إلى أين أمضي
ونحن عراة بدون ملابس
تغسلنا رعشة المناجل
تخنقنا رقصة الجماجم
تؤلمنا قبضة السلاسل
وقلب الجزائر فوق رؤوس الخناجر
إلى أين تمضي
إلى أين أمضي
لقد سرقوا فرحتي عند رقص المطر
لقد حجزوا بسمتي بين عين الإبر
لقد حاصروا صحوتي بعد أن أشرق النور هل القدر
ولم يبق إلا قصيد سنكتبه رغم طيش القنابل
إلى أين تمضي
إلى أين أمضي
وأم تضمد جرحا، تكفكف دمعا
وفرخ بلا زغب يصارع بردا وثلجا
وشمس يطارها في السماء كسوف
وليل يمزق ثوب النجوم
ودمع الثرية ينعي الجزائر
إلى أين تمضي
إلى أين أمضي
رياح تمزق قاربنا
صقيع يجمد أضلعنا
جفاف يطارد أحلامنا
ونحن عصافير أسكرنا الخوف بين صلاة الكواسر

إلى أين تمضي
إلى أين أمضي
فعشي وعشك صار خرابا
واعوداه نسفت والرمادا
وزهر بذرناه يوما فقد أمسى هشا حطاما
وبترولنا عرفناه احمر، فأنجب شمسا
وابدع عرسا
وأرقص فأسا
برغم جروح المسامر
إلى أين تمضي
إلى أين أمضي
ومركبة الحب تغرق بين دموع الصغار
وعمر يسافر يغرق دون قرار.... لأن بطاقتنا حرقتها الجمار
لأن هويتنا انتحرت في بلاط الملائكة قبل ولوج النهار
لأن فصيلتنا انقرضت بعد أن كسحتها جيوش التتار
لأن مواويلنا ابتلعتها ضفاف البحار
إذن لم نعد نحمل رقما، فكيف الرحيل؟ وكيف الفرار؟
عيون السماء تحاصرنا.... عبير الامومة يخنقنا
نسيم الجبال يعاتبنا.... رغيف الشعير يقيدنا
ونحن عصارة جرح رماه التيار
إلى أين تمضي
إلى أين أمضي
فبعد الرحيل سيأتي الدمار
فهل نرحل الآن؟
لكن إلى أين؟
لست أدري

المنصورة في : 1996

الزلزال والطوفان

يا حبيبي يا عيوني ... يا مناي بك أسعد
أنت طيري أنت لحني ... بك فجري يتجدد
خذ يدي لا تدعني ... بين شوق يتوقد
وانتشلني من عذابي ... جسدي صار مقيد
أنت تسري في هوائي ... مثل مسك يتصاعد
يا حبيبي أنت روحي ... أنت حبي أنت سيد
لا تسافر عن عيوني ... إن جرحي يتمدد
كم ليال سهرتني ... عذبتني بخيالك
لم أجد فيها أنيسا ... غير دمع يتصعلك
طردوني من سباتي ... جردوني من وصالك
نحروا فجري وفروا ... بعد أن لاح شعاعك
لا تدعني للأفاعي ... فأنا نبض جلالك
أكره الموت لأني ... جئت من صلب خيالك
لاتسلني عم أبكي ... لم أعد أعرف حالك
حاصروا حبي بمكر ... صادروا حتى هلالك
دمروا عشي وشمسي ... دمروا ماضي جبالك
يا حبيبي أنت روحي ... أنت حبي أنت سيد
لا تسافر عن عيوني ... إن جرحي يتمدد
اسقني شهدا وغنّ ... بين صدري المتوهّج
وانطلق كالماء تطفو ... فوق شعري المتموج

وابعث الروح بعرشي كاد وردي يتشنج
دونك الناي وهيا نزرع الدنيا مباهج
نصلب الريح ونمضي نُخْمد الجمر المؤجج
نقتل الحزن ونبني حلمنا الباكي المثلج
يا حبيبي أنت روحي أنت حبي أنت سيد
لا تسافر عن عيوني إن جرحي يتمدد
سقط الفن وعمت موجة الراي تسبح
سقط الشر وثارت شهوة المال تلوح
أصبح القرد حكيما يفتح اللغز ويشرح
واختفى نور الضمير وتعالى الجهل يذبح
سوك المكياج حلما والفتاة البكر تسبح
كسرت كل الموانى دمرت سوري المسلح
وامتطت سرج البروج تقرأ الحظ وتسرح
زفت الأم عروسا هزها نعش مجرح
لم تعد تنجب ابنا فابنها الشارع أصلح
يا إلهي يا إلهي! إنه الطوفان يكسح

المنصورة في 1998/09/30

مجموعة قصصية

الصراع

ذات يوم كانت تحجز أمتعتها القدسية، عيناها تطوفان منذ أمد بعيد في أدغال الشعر، تتنقلان في عربة فروسية، تغازل عنترة، تشهر فنها وجمالها الأخاذ أمام خصمها العنيد، تقاتله بشجاعة، والمشهد ثابت لم يتغير يرسم على أطلسها أوسمة الكبرياء، كانت مخيلاتها تبحر في سراديب اليونانيين، العواصف تشتد وهي ماضية في القبض عن النوارس الجميلة، وفجأة ارتسمت على وجنتيها جملة من الأطياف المتناقضة، تتزاحم فيها تساؤلات مستقبلية تعبث بشعرها المصفف، تلعن حظها الآتي.

الأعاصير الهمجية لم تتوقف عن سخريتها، شعورها بعدم تبليغ الأمانة كان يعكر جوها، يفجر في قلبها بركانا من الدموع المحرقة، تعبس، تحزن، تتخبط كطير مبتور الجناحين يبحث عن منفذ، لكن كل الجدران المحيطة بها أوصدت آذانها.

لم تبق إلا الزوابع في حالة هرج وصخب، تريد أن تقتل تقاسيم الورود الجميلة، حتى الزمن الذي مضى في سفره دون أن يترك تذكرة كان مهرجا لم يترك لها فرصة للراحة، فما أقساك أيتها القيود الشريرة! وما دهاك أيتها الصليبية العريانة حين استدمرت كل أرقام الحياة! ذات يوم في القريب كانت صغيرة بعد أن شاخت وماتت وولدت من جديد في البيت العتيق، كان هذا البيت يشع سعادة رغم العراء، رغم الحرمان، رغم العواصف التي كانت تقاسمها الحزن والرعب، رغم صمت الجدران الخارجية كانت تشعر بالدفء والحنان والحرية الطفلة الصغرى مدللة، يعشقها كل الإخوة إلى العبودية، أبوها لطيف لكنه لا يحب التهريج صريح، عنيف، شجاع.

بعد عودته من الشغل كان يتمدد على حصير رث، يتناول فنجان قهوته، يشعل سيقارته التي صنعها من حشيش مزرعته، يترشف قطرات من القهوة ليقتل أتعابه وهمومه، يشعر بالراحة، كانت الطفلة تسند رأسها بحشمة على صدره، وأنامل يد الأب في حركة مستمرة تداعب خدي الطفلة الصغيرة،

ترقص تمرح، والصغيرة كل يوم تكبر، والأمل يكبر والحب ينمو ويتعاظم في صدره الرحب، ثم تسترجع البدوية الصغيرة الكبيرة شريط حياتها كيف نشأت بين أخاديد الكتاب وتجاعيد الوجوه ودموع الروابي الجزائرية، تذكرت كيف بدأت تحبو بعد أن ولدت من جديد في خضم الأوحال وهي ترتدي برنوسا مطرزا بالهلال الأحمر، تريد أن تمسك بالشمعة المتبقية.

الأمطار تنزل وتهطل بغزارة، العواصف تلد اسهما من البرد القارس، الدموع تغمر كل الأماكن تأهب الوالد دون كلل، وقف في الساحة المنحورة، منهك الجسم، مد يده إلى جيبه، أخرج المنديل، مسح دموع صغيرته ذات العينين السوداوين، النور الذهبي يقبلها، يعانقها والحب يقرأ تراكيب متناثرة اجتهدت البدوية على استجماع شملها فتمسك بالشمعة المتبقية، الأب منحني الظهر يتبعها بخطواته المتثاقلة، يحاول ألا تفر منه عمامته البالية، البدوية تمسك بشمعتها الأخيرة، أصبح وجهها يظهر أكثر، أنيقة، جميلة، البدوية، وردة تفتحت في ضوء القمر، حسدتها جارتها على هذا الجمال القدسي الأخاذ والدها المجاهد كان قد فارق الحياة مع هول العاصفة. تشجعت تقدمت نحو حلبة الصراع من أجل البقاء، من أجل الحياة.

وفوق التلال التي ولدت فيها وبين المروج الساحرة التقت بحبيب آخر لا يقل حبا وحنانا عن الأب، أحبك...أعبدك... كم أنت رائعة بدويتي!، وفجأة يضمها إلى صدره، يقبلها وأشعة الشمس تقاسمهما فرحة اللقاء، اثرها أخذ يرددان: ما أجمل الحب!.. ما أجمل الحب! انطلق المركب سريعا، مركب تدفعه مجاذيف خشبية نحو شاطئ مجهول ليس له نهاية تغمره نقاط استفهام. المركب لا يسمح إلا للبدوية وحبيبها، والشمعة المتبقية، لن يسع أكثر. كانت البدوية تبحث عن هذا الحب المشترك بعد رحيل الأب "تزوجت من هذا الفتى وأنجبت منه صبيا وسيم الطلعة سمته (العربي).

لقد اختفى الوالد شهيدا، وهو يؤدي واجبه المقدس، سقط يابسا من شدة الصقيع وتكالب العاصفة، التي اكتسحت كل شيء حتى الحيوان، مات

الأمل الأكبر الذي كان يضمد جروح البدوية، مات الحنان الأول، مات الحنان الأبوي.

انتقلت البدوية من كوخها الذي أصبح متحفا للذكريات والأغنيات لم تبق منه إلا أطلال تعزف ملحمة هؤلاء الخالدين، العاصفة كانت هوجاء فعلا، كل الكائنات رحلت عن موطنها الذي بقي يستجمع صفير الرياح الجنوبية المجنونة، فرت المسكينة مع عشيقها إلى حيث الأمان والسكينة نزلت ضيفة جديدة بهذا الحي حيث أهله لا يقلون عطفا وحنانا.. أهلا بك..مرحبا.. نحن أولادك.. نحن خدامك.. نحن حماتك. وتتعاظم صورة البدوية في أعينهم.. إنك تشبهين الأب، مدهش، ياله من جمال!.. يا لله!.. آه.. ترتدين أسمالا بالية بئس الفقر.. لقد قسمنا منذ أمد بعيد أن نفديك مهما كانت نتيجة الصراع، انظري هاهي ملايين الأجنحة الذهبية تجوب الفضاء الرحب، تحلق في سماء الحرية، بلابل ذات ألوان زاهية تقيم لك عرسا تعانق أشعة الفجر الآتي، والراقصون والراقصات في جنة الضاد يصفقون لك.. إنّك شجاعة واصلي المعركة لم نمت نحن أحياء نحن جزء من جسدك ستنهزم جبابر الحانات، ستنتحر الضرة التي تركتها جحافل الصليبية. انشقت الحيرة عن نظراتها، دبت حركت الحياة من جديد في جسدها شعرت بالسكينة والراحة وهي تسمع: نحن جنودك.. نحن حماتك لأجلك ولدنا.. لن ندع شبح الغين يقتلك..هيا تقدمي، العاصفة المجنونة ما زالت تتربص بك.

بدويتي: كم أنت جميلة!، كم أنت رائعة!، هيا ارقصي، اقتلي همومك،، قطعي هذه الأغلال المتبقية.. هيا دونك السكين، مزقي هذه الملابس الرثة لا أريد أن أراك حزينة، ارتدي هذا الفستان الأبيض العصري، انه يناسب أناقتك، إنه جميل لقد صنع في بلدك ستحقد عليك ضرتك وأنت ترتدينه كالملاك.. انها تتربص بك شرا، لقد دنست كرامتك.. أهانتك في الحفلات.. اخف مصحفك جيدا.. كوني ذكية،، احترسي أن يضيع منك.

عشقت البدوية كل سكان الحي سلمت قلبها لهم وراحت ترقص منطلقة وراء رقصات بلابل الحقول واختفت في داخل أهازيج الحصادين، ثمة عرق لا يجف، الطريق مشلول تتخلله أحراش وأدغال وقطعه أمر صعب، تمر السفن في عيني البدوية، تواصل زحفها بعد أن أخذت إشارة التشجيع وصورة الضرة مرتسمة في مخيلاتها تتبعها، لا تريد أن تتوقف ثم مضت تردد: أنا ثائرة.. أنا ثائرة ضدك أيتها العواصف الحمقاء،، أيتها الضرة المنحوسة،، لقد عرفت معنى التشرد،، لقد عرفت معنى التيتم، فلن اسقط.

لقد سافرت منذ سنوات، ودعت أمي تبكي خلف التلال، واخوتي الذين احببتهم حبا جما أظن انهم يفتشون عني، بدون شك سيذكرونني كم كنت لطيفة معهم، لم أهاجرهم ولكن مشيئة القدر أجبرتني على هذا، نعم تركت أطلال منزلي لأرسم الخريطة الأزلية، لأبني الأصوار المتبقية المحطمة في ذاكرة الأجيال القادمة.

إذن أن وحدي في هذه الغرفة المهجورة بعد أجبرتني المعركة على ذلك، الظلام يخنق أجواء الكون، حاول المغتصبون أن يخفوا نور القمر بأيديهم، أن يدنسوا نور الله، وأمام غرفتي أقامت الذئاب القادمة من وراء البحر كرنفالا شيطانيا، آه. ماذا أسمع؟! أجراس الأفاعي الرقطاء تحاصر الجدران، الباب الحديدي موصد، لا، إنّه مفتوح، سافر، لا، لا مطلقا لن أفر ماذا يقول عني التاريخ؟ أنا جبانة، لا، مستحيل، كلا لن أفر.

هواجس الأشباح صفعت المسكينة، أدركت أن المعركة ليست سهلة، لهذا فلن تستطيع التوقف فالجيران أجبروها على اكمال المغامرة، المساجد ماضية في تشجيعها، والمدارس في اضراب عن الغناء، والادارات تحاول أن تسترجع نفسها من أجل الوقوف.

عبرت المسكينة موسوعة الحياة إلا أنها كانت تتنشق مساحق الضرة في كل مكان، هناك بصمات قذرة مرتسمة على ألواح الدكاكين، وحتى في خطوات بعض المارة الذين اندسوا في غمرة النبيذ المستورد الأحلام المزعجة

تتكدس في ذاكرة البدوية من جديد، القمر نوره يتصارع مع حماقة الظلام، وماركة الغين مستمرة في تحديها لضوء الرحمة الذئاب القطبية المرتدية لسراويل الجينز المتحدية للبدوية المكشرة عن أنيابها لا تريد أن تتوقف عن الرقص، الضرة جالسة متبخترة في أريكتها الأسطورية تسير الكرنفال، والعبيد الوهميون يوزعون النبيذ على العملاء الذين نجوا من طوفان الأب، البدوية ثابتة تجابه الموقف المرعب بشجاعة في الخلاء الملتهب، معظم العصافير فقدت جواز سفرها في هذه الرحلة العاصفة، أبناء الحي العتيق سلبت منهم بطاقات هويتهم، الماشية العصرية لم تعد تنجب فحولا، الأسود الأسطورية أصبحت اليفة فقدت ملكيتها، الذكور تخنثت، الاناث تذكرت.

العاصفة دمرت كل شيء، والبدوية ماضية في قمع العاصفة المتبقية.

فجأة وفي هذا الجو المرعب زأر العربي من وراء حجاب نور القمر: أنا قادم ... أنا خلفك.. لا تخافي.. لست أنت وحدك في صدر المعركة، أعرف أنك مرهقة، لن تعرف الغين الراحة في حينا، ستسقط الأقنعة،، هيا انفخي في مصحفك المقدس وامتطيه لنواصل المعركة من أجل البقاء.

عن جريدة النصر في: 1983/1/24.

حَصَادُ الصَّبْرِ

تعود أن يستيقظ كل يوم باكرا، ألقى نظرة عبر النافذة المفتوحة، ظهرت له بناية المستشفى في صورة أعظم مما تحمله من معاني الانسانية، شعر بالراحة لفترة قصيرة، كان يتساءل مع نفسه، كيف حال المرضى يا ترى؟

بالطبع منهم من هو مستيقظ، ومنهم من لم يذق طعم النوم وحلاوته، ومنهم من مازال يسبح في نوم عميق تتقاذفه الأحلام المزعجة. في هذه اللحظة استرجع شريطا كان قد سجله في ذاكرته، شريط مسجور بالمتناقضات فيه الحلو وفيه المر، عالم عجيب حقا. حدث ذلك مرة بعد أن أصيب بالتهاب في حلقه أين أدخل المستشفى فهجم عليه السهد والأرق لأنه لم يألف الحياة في المستشفى، طبيعته الذاتية تختلف بعض الشيء عن الناس الآخرين، عصبي المزاج، لم يستطع أن يهجر غرفته أبدا، كان يشمئز عندما يسمع أن أحد أقربائه أُدْخِلَ المستشفى.

تلقّفت عليه الحيرة من كل الجوانب، أصوات المرضى المرتفعة تمزق قلبه، كل شيء أصبح في نظره جحيما، لكنه ماذا عساه أن يفعل؟ المرض أجبره على احتلال سرير في المستشفى الأمر ليس بيده أحب أم كره أقبلت الممرضة ذات الشكل القبيح، عيناها ينبعث منهما شرر شيطاني، وجهها عليه مسحة من الحقد والكراهية وجسمها في ضخامة غير متناه أقرب منه إلى شكل جاموس أوروبي صليبي. حاول أن يلطف من حيرته وهو يترصد هذا الشبح المخيف، ماذا يصنع؟ الممرضة تتنقل أمامه بكسل دون أن تعطيه أي اهتمام إن خاطبها فلا تبرح مكانها وكأن المسامير تشدها إلى الأرض. الصوت المنبعث في نظرها ما هو إلا حشرجة لذبابة طائشة، حتى لو تحركت فتلك قصة أخرى، نعم قد يكون مغفلا من طلب منها شيئا فهي تهز كتفيها وتدير وجهها بغير اكتراث ولا مبالاة وترد عليه أحيانا بصوت مرتفع، ماذا تريد؟ ألا تنتهي طلباتك؟ أتعبتني، أنت لست مريضا، هثاث ... هثاث.

عجز عن الرد، المناقشة معها في مثل هذه الحالة ستعقد الموقف أكثر، لكن الصمت على ذلك معناه الرضا والقبول بالأمر الواقع.

علق في داخل دوامة شيطانية، جميع الحيل لم تنفع معها، صار مشلول العقل المرضى بجانبه كانوا يحسون بهذا ورغم ذلك لم يدركوا المفتاح الذي

يفتحون به هذا السر ليخرجهم إلى عالم الرحمة. عادة ما يأتي إليه الأهل لزيارته وفي صحبة كل واحد قليل من المرطبات والمشروبات، هذه عادة حسنة وشيمة من شيمنا الاسلامية الطيبة لذا فهي محظوظة طبعا ولم لا ما دام أن كل هذا الرزق هو من نصيبها، لم تعره قيمة، أسعفته أم لم تسعفه. تقدمت من الطاولة الصغيرة البيضاء، لفت كل المأكولات في الورق دون أن تستأذنه وهي تبغو إليه تقرأ ملامح وجهه، ماذا عساه أن يقول؟ ثم تبادره قائلة: يا سيد، هذه المرطبات يمنع تناولها هنا، القانون الداخلي يجب أن يحترم، طعامك المسموح به هو الطعام المحضر في المستشفى. هل فهمت؟

تقمص في ألمه مرة أخرى، لم يرد عنها، تركها تمضي لحال سبيلها تقفش كل شيء كان يدرك معنى تهكمها وتعنتها.

ان المرأة أصبحت بمرور الأيام تزداد سمنة، عائلتها كانت تقتات من هذا المصدر بالمجان مما زاد في تدهور حالته النفسية كلما شعر بهذه التصرفات الحمقاء تقترب منه.

سافر في داخل أحلامه المشوشة، ثمة حياة هاكعة في هذا الكون، لاغش، ولا حقد، هذه ممرضة صبوحة تطوف حوله، تحمل في كفها رحيق البل والحنان. أثرها صاح بصوت حاد: مدي لي يديك، أنقذيني، لقد رماني الاعصار بين مخالب العقرب الصفراء، أظن أنك تعرفينها الا أن بصيص النور ما انفك أن انطفأ وانتهى كل شيء. عاد إلى الواقع المر كان يتأسف لمزون هذا الحلم الجميل الذي لم يتحقق.

الطبيب الذي ألف زيارته كل يوم كان يتعجب من أمره فالرجل قد تناول دواءه بانتظام في الصباح، ماذا جرى؟ أتكون هذه الأدوية قد فقدت مفعولها؟ لا، لا، أبدا يمكن أن يكون في الأمر سر. ومضى الدكتور في مهمته النبيلة يبحث عن الحقيقة المفقودة المندسة في جيب قلب المريض. تقدم منه، كان في شبه غيبوبة، مد يده بلطف نحوه يتفحص حرارة جسمه تارة وطورا بسماعته البراقة. حرارته مستقرة وطبيعية، الدواء الذي تناوله في الصبيحة أدى وظيفته كما ينبغي، انتفاخ حلقه بدأ يأخذ بعض الراحة إلا أن الطبيب شعر بأعصاب

مريضه ليست هادئة، لذا منخ رأسه وراح يتأمل عينيه الذابلتين بعد أن استقام في جلسته ثم انطلق في مشواره مستفسرا مريضه قائلا:

أحمد أنت في صحة جيدة

عجبا يا دكتور،، أشعر بثقل في رأسي

لا تقل هذا يا بني، كل ما في الأمر هو نتيجة المسكنات التي تناولتها

- لا،، يا دكتور،، أنت تحاول أن تلاطفني فأنتم معشر الأطباء تتميزون بالرأفة، أنا لست صبيا كما تتصور، النار لا يشعر بها إلا من أحرقته، ومع هذا تريدني أن أعيش.

- لا تكفر يا بني،، هذه هي سنة الحياة ولا مفر منها

- أنت طيب يا دكتور لو كان الناس يفكرون مثلك لصلح العالم

في هذه اللحظة شعر الدكتور بهاجس قد انتاب مريضه كان سببا في بلوغه هذه الحالة التعسة. ثم واصل حديثه قائلا: لماذا تقول هذا؟ أليست الدنيا بخير؟!

- بلى،، ولكن هناك واحد محظوظ حياته مسرة وابتسامة، وواحد منكود الحظ حياته ظلمة وشقاء، صاحب القوة في الأخير هو المنتصر، أما الضعيف يبقى ضعيفا.

- عجبا، أراك متذمرا،، ماذا حدث؟ هيا أخبرني

لا،، لا تتعب نفسك يا دكتور. كل ما أطلبه منكم هو أن تحولوني إلى القاعة المجاورة لا أريد أن أراها

- من هي؟

- الممرضة

أزاح الطبيب النظارة عن عينيه، التفت بجانبه حيث تقف الممرضة، فوقع بصره في بصرها كان وجهها يتلون كالحرباء من شدة الصكمة، لم تكن تتوقع أنها ستقع في هذه الورطة لذلك كل من عقد عقدة بيده سيفكها بأسنانه هكذا يقول المثل.

ارتضب الدكتور ريقه أخيرا وجر جسمه المتثاقل ثم وقف متذمرا هائجا وصرخ بأعلى صوته: لعنة الله عليك يا زبيرة، أنت محالة على مجلس التأديب، هيا اخرجي من هنا ثم استدار بجسمه ليهدئ من روعه، وهمس في أذنه قائلا:

يمكنك الآن أن تستريح. ثم أشار إلى الممرضة التي كانت برفقته: فاطمة يمكنك من الآن فصاعدا أن تسهري على من في هذه القاعة.

فعلا إنها ممرضة صبوحة، هي في العشرين من عمرها سوداء الشعر، بنية العينين، أنيقة الجسم،، خفيفة الحركة، وسيمة الطلعة أول ما أبصرها وهو يسمع الدكتور يذكر اسمها. تنفس الصعداء وشعر بالراحة تغمر نفسه عندها أيقن أن حلمه أصبح حقيقة سافر في جاذبيتها يرسم جسدها الملائكي مرددا في همسات رقيقه: فاطمة ... فاطمة.. وذاب في أثرها يشيد القصر العاجي

....

اسيقظ كعادته،، أزاح الغطاء عن وجهه،، مد يديه وراح يفرك عينيه بأصابعه إثرها وجدها تصلح له وضعه في السرير. كانت منهمكة في حركاتها الدائبة كالفراشة تطوف حوله، وعندما هم بترتيب جسده. بادرته بنبرة رقيقة: صباح الخير يا أحمد.. لم يصدق ما سمعه، لكنه أمهك ورد عليها بكل تواضع: صباحك أسعد

- كيف تشعر الآن؟
- على كل الحمد لله
- المهم حالتك النفسية، كل ما في الأمر أن مرضك بسيط،، يوم أو يومان وستغادر المستشفى صحيح أنك الآن تعبان، وحالتك الصحية تستدعي مني المراقبة المستمرة، وأن الدكتور واثق من نفسه بأنك على خير.

قالت ذلك وهي تحوم حوله كالنحلة، لم تكن مشغولة بحديثه بقدر ما كانت منشغلة بوضعه في السرير، تارة تتفحص وصفة الدواء وطورا تتفقد طلباته. مضت إلى غيره ومضى وراءها ببصره يترصد رتواتها الخفيفة وشعرها الأسود المتجول على كتفيها، كان ينوي مصارحتها بما يحس لكن في أي شيء؟ هل في حبه لها؟ أم في الزواج؟ أم في ماذا؟ ابتسامتها المشرقة سكنت قلبه،، تواضعها تحول إلى عطر منعش، لم يعد يحتاج إلى طبيب نفساني كل الحواجز النفسية تكسرت، اللحظات المظلمة التي عصرته رحلت بخيبتها إلى الجحيم.

فجأة وبينما هو منشغل بأحلامه دخلت الأم المسكينة وهي تعتصر ألما،، غياب أحمد عن الدار ترك فراغا لا يمكن تعويضه جلست بقربه تربت على كتفه والدموع تنساب على خديها ثم همست في أذنه قائلة: أنا خائفة يا أحمد أن يأخذك الموت مني.. أنا خائفة يا أحمد... لا تخافي .. لا تخافي يا أمي،، مجرد تعب في أعصابي،، أنا بخير.. أنظري إلى ها أنذا بخير.

نعم أنا أراك بخير، ولكن بلغني بالأمس أن صحتك في خطر

- هذه هي طبيعة الناس

- ماذا تقصد؟

- اقصد بأن الناس دائما يؤولون الأحداث الصغيرة إلى أحداث كبيرة وبينما هما منشغلان بحوارهما، دخلت الممرضة فاطمة بمئزرها الأبيض عندها تلعثم لسانه وتوقف عن الحديث، فاصفر وجهه وتغيرت ملامحه. اندهشت ألام لهذا التغير المفاجئ، التفتت وراءها، أدركت الحقيقة. كان ابنها ينظر إلى الممرضة فاطمة، تقدمت منه، ناولته الحقنة ببسمتها الرقيقة، ثم مضت إلى غيره وقالت له الأم: فعلا، أرى صحتك قد تحسنت. لم يرد عنها مازال سارحا في عالمها المسحور يحل ويربط، صورتها التصقت بذاكرته وفجأة استدرك جزء من كلام أمه.. ماذا؟... ماذا يا أمي!؟

- ايه... أين ذهب عقلك؟

- لا... لا.. أنا معك

ابتسمت الأم ثم قالت: معي أيها العفريت.. أليس كذلك؟!

عندها سافرت الأم إلى أعماق نفسه، ثمة جديد، أحمد فعلها؟؟ اللهم ارزقه ببنت الحلال ثم خرجت من هذا الطيف الجميل. أرسلت بسمتها الدافئة ثم قالت: لا تحاول أن تراوغني،، فهمت كل شيء،، صارحني،، تحبها،، أليس كذلك؟

ابتلع أنفاسه وكأنه لم يعرف الجواب، ثم رد عنها قائلا: من هي؟

- نحن النساء نفهم تصرفات بعضنا، قلها، وارخي

- أجل يا أمي، أجل أحبها

- اذن تريد أن تتأهلها
- إذا رضيت
- وإذا لم ترض
- خاب حظي،، المهم سأحاول

وقف في قلب أحلام العاصفة يقاوم،، يبحث عن منفذ للتخلص من أرقه وفجأة استفاق على حديث شيخ مريض احتل سريرا بجانبه:

- أتحبها؟
- نعم،، بل أعبدها، إنها شخصيتي،، كرامتي،، رئتي،، هي كل شيء
- جميل ولكن ...

اعتدل أحمد، ثم قاطع الشيخ قائلا: ماذا لو فاتحتها في الزواج؟

أدار الشيخ رأسه نحو أحمد، ومسح شاربيه والابتسامة المشرقة تطبع وجهه المتجعد الذي يحمل أسرار التاريخ، ثم قال:

أين أنت يا بني؟

أنا معك

أنت في داخل دوامة صاخبة

ما ذا تقصد؟

- أقصد أنك مطعون بخنجر الحب، فعلا يا بني أمر كهذا صعب العلاج
- انت خبير في هذا المجال، فما رأيك بصراحة؟
- نحن الكبار نختلف عنكم يا بني، لم نعرف الحب في زمننا بطريقتكم، إنما كنا نختار بنت المال والشرف والجمال، عندها يأتي الحب الحقيقي الأبدي بعد الزواج.
- حسنا، إذا لم تتلمظ طعم الحب فعلى الاقل إنك شممت رائحته، أرجوك ارشدني يا جدي.
- فعلا يا بني إن الحب داء صعب العلاج، ولكن نصيحتي لك الا تتعجل تدبر الأمر بحكمة أعلم أن العاطفة لا تنفع في مثل هذه المواقف، المشكلة مشكلة عمر وحياة، كن واثقا من كلامي تحب أن ارشدك، اليس كذلك؟

- أجل
- إليك هذه الأسئلة:
- هل تعرف بطاقة هويتها؟
- ماذا تعني؟
- هل تعرف والديها. وجنسيتها، ولغتها؟
- لا
- عجيب أمرك يا بني.
- ما العجب؟

صعب علي ان أفهمك، وحتى لا تتسرع في اتخاذ القرار، اسمع قصتها:

كانت تتابع دراستها بالمعهد الإسلامي، فقيرة، يتيمة الأب، تعرفت على شاب بالمعهد لا يقل عنها جمالا، تاهلت به، أنجبت منه طفلا يشبه الأمير عبد القادر، سيرتها الحسنة طغت على قلوب العشرات من العشاق، تعلقوا بها، كانت تقسم عليهم حبها بالتساوي بل كانت رسولة اتصال فيما بينهم إلا ان نفسها كانت تحتدم، كل الناس لم يشعروا بما كانت تتألم، لذلك حاولت أن تسلي نفسها بتربية الطفل الصغير الذي صار جزءا من حياتها ومع هذا لم يمض إلا وقت قصير حتى أصبحت مطلقة بسبب ضرتها الممرضة الأولى التي عرفتها، لا شك انك عرفت الآن الحقيقة يا بني.

كاد أحمد يجن، شعر بأن الجبل وكأنه قد هوى عليه هب من سريره كالرعد المدوي، وبدا بوجه شاحب غاضب، وصرخ قائلا: مجرم هذا الزوج مجرمة هذه الضرة لعنة اللّه عليها.

كانت ساعة الحائط تشير إلى الثامنة، أقبلت كعادتها في هذا الوقت، تقدمت منه بحذر والابتسامة العريضة تطبع وجهها، ثم بادرته قائلة: السلام عليكم

- وعليكم السلام.
- هيا اكشف عن ذراعك الايمن، الحقنة جاهزة.

كشف لها عن ذراعه ثم غاص في جمالها العربي الفتان، شعر بمغنطيس يجهضه من سريره ماذا يفعل؟ أراد أن يقتحم أصوار الصمت، حاول أن

يستثيب قليلا من الهواء الفار اصفر وجهه، برد دمه، وانتاهبته رعشة مفاجئة، صار جسمه فاشلا، الطلقة حان وقتها لتخرج إلى متى ستظل متوقفة في حلقه تزرده، وضب ريقه، ضغط عن انفاسه، أغمض عينيه ثم انفجر:

- فاطمة....
- أتريدين الحقيقة؟
- أي حقيقة.
- أحـ..... بـ..ـــكـــ،، أحبك

الصكمة كانت شديدة على نفسها، مسكت قلبها حتى لا يسقط ثم راحت تترنح في الفضاء ذات اليمين وذات اليسار تعبث بها الزوابع الغرامية كادت أن تسقط على أثرها لكنها تمالكت قواها، وثب احمد من فراشه كالبرق الخاطف، أخذ زجاجة الماء وانهمك يرش لها على رأسها ووجهها، فجأة عادت إلى وعيها، أجلسها على الكرسي وبادرها قائلا:

- كنت أعلم أنه سيحدث لك هذا.
- بالله عليك ألا تعيد ذكر هذه الكلمة، كفى، لا تعذبني مرة أخرى لماذا؟
- سل الشيخ.
- لقد عرفت رأيه.

كان الشيخ يتابع هذه القصة بشغف وهو يتظاهر بالنوم حيث اجبر احمد على خوض هذه المعركة حتى يتعرف على شجاعته وقدرة صبره في مثل هذه المواقف الصعبة في هذه اللحظة اعتدل فوق سريره ثم خاطب أحمد قائلا:

صبور ومقدام أنت يا بني

- ماذا تقصد؟
- انتصرت مبروك عليك بالعروس.
- أحقا؟
- سلها
- ابتسمت فاطمة ورقص من في القاعة على إيقاع الشمس وزغرودة النوارس، وتحولت شوارع المدينة الخليلية إلى كرنفال راقص، اختلطت فيه

أهازيج الطيور العربية بطلقات البارود المنبعث من أفواه بنادق الراقصين. إنه أجمل يوم عند فاطمة حيث ارتدت فيه افخر الملاتبس من إبداع الفنانين المحليين، وهي تتبختر بها في هذا الجو المغمور بالفرحة والغبطة والسرور. ارتمت فاطمة في حضن الشيخ ذو اللحية البيضاء والوجه المتجعد، ودموع الفرحة تنساب على خديها، ثم بادرته قائلة: أنا ملك أحمد،، أنا ملك كل وطني ثائر،، أنتم وقودي،، أنتم حبي الازلي،، أنتم كل شيء في هذه الحياة ما دام اسمي منقوش على ألسنتكم وقلوبكم.

- مسح الشيخ لحيته البيضاء، ثم قال:

شكرا لك يابنيتي على هذا الاعتراف،، أما أنا فسأبقى مرجعا لك حيثما طلبتني وجدتني رهن إشارتك

انطفأ الحلم وتحول إلى حقيقة وتزوج احمد بفاطمة، إلا ان هذه القصة لم تزل احداثها من ذاكرة أحمد كلما وقف أمام نافذة التاريخ

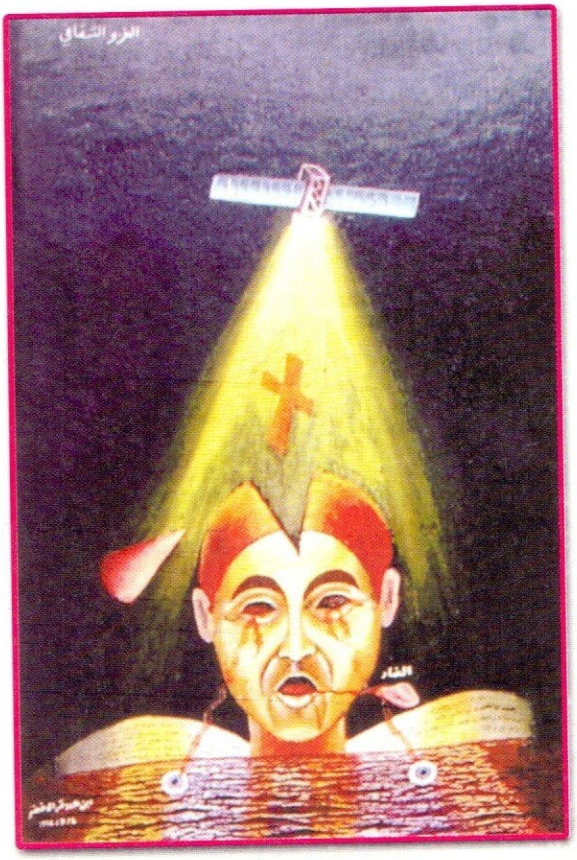

الغزو الثقافي

الثمن الغالي

جميلة تلك الفتاة الطيبة، والأجمل فيها تلك الأخلاق المثالية الفاضلة، فتاة في أوج شبابها ذات حاجبين مقوسين سوداوين، وشعرها الأشقر يتدلى على كتفيها بدون مانع، لم نفكر مرة أنها مقصرة في واجبها، بل بالعكس إنّها محور أعمالنا، في كل صباح لاتراها متجهة إلى المزرعة إلا وفي يدها صرة بها كسرة وقليل من البصل والزيتون وعلى كتفها قربة الماء، وما إن تصل حتى ترتب كل شيء تحت شجرة البلوط، وتمضي كالنحلة المجتهدة تراقب ما انجزناه طيلة الصبيحة، تتنقل بين أحواض المزرعة تتفقد مياه بكبرياء كل صغيرة وكبيرة، تارة تقلع الأشواك الضارة بين المغروسات، وطورًا تتفقد مياه البحيرة المتدفقة في السياقة، وإن لاحظت شيئا على غير طبيعته صاحت في تذمر: ليس العمل هكذا ياجماعة، ماهذا؟ ثم تمضي وتغيب بين همسة الطيور والفراشات تذر وراءها أثرًا لن يزول.

واحدة من بين الأسماء الفذة، فقيرة الحال تعيل أسرة كثيرة العدد، جلهم مسنون منهم الأب الذي أتعبته خدمة الأرض، ومنهم الأم والخالة والعمة والجدان، وبعض الأيتام رمى بهم الزمن المغفل إلى كوخ حقير لذا فهي مجبرة لأن تشتغل وتعطي مردودا أكثر وإلا سقط الكل بين أنياب الجوع، وحتى لا تسخر منها جاراتها الموجودة ماوراء البحر ضاعفت جهدها، لكن لم يكن هذا فقط يقلقها، بل كانت منشغلة بفكرة الزواج، إنها مقلمة، معظم جارتها الأخريات متزوجات، لقد تزوجت من قبل فعاشت أياما سعيدة، ولكن الدنيا كلحت في وجهها في الأخير، بعد أن قفس بعلها، هي ليست أرملة إنها قالصة عمرها بدون شك سيكون طويلا، قد تكون هي آخر من تبقى في هذا الكون، لذا يجب أن تدفع عن نفسها هذا الشر، لابد من رجل آخر يتعهدها ويسهر على راحتها الأب انتهى دوره لم يعد قادرا على اسعادها أكثر، الجد في آخر رحلته المكوكية يعد سويعاته الأخيرة في هذا العالم المضطرب، لكن من يتقدم لخطبتها؟ كل من تقدم لطلب يدها إلا

واعترضه حاجز يجعله يقوم بتدبير اعالة عائلتها ويتحمل شتى أنواع المصاريف، عندها يغيب فارس أحلامها وتصطدم بخط مشؤوم، ويعود الواقع هو الواقع، مواصلة العمل هو أهم شيء لمدها بنفس جديد، أما الشيء الآخر فسيجيب عنه المستقبل.

توالت الأيام والشهور تتلفق وفي تلفقها تزداد مطالب العائلة المسنة أكثر، ومشاكل أكثر تغرق الفتاة سعيدة إلى أذنيها، الحمل صار أثقل، لم تستطع أن تواجه تكالب الأمواج وشدة الاعصار المدمر، الكوخ يجب أن يأخذ قسطه من النظافة والترميم، الأفراد يجب أن يشبعوا بطونهم لقد تغير العصر، الأمور تطورت، لذا يجب على كل شيء أن يساير الموضة الجديدة اضطربت المسكينة ومضت دون أن تلتفت وراءها لتستفسر قرص الشمس المازن المشغول بنفسه: كم تشير الساعة؟ كم تشير الساعة؟ الوقت قاطعها حبط الشيء الكثير منها، لا يمكن أن تذره إلى الغد جابهت الأشباح ومضت تبحث عن وسيلة لتستعين بها كي تكمل عملا ما، لكن العين بصيرة واليد قصيرة اختلطت عليها المشاكل والهموم، ماذا يمكنها أن تفعل؟ لم يبق لها شيء، نفسها العزيزة أهملتها، حتى أناقتها بدت في شكل فوضوي، وجهها القمري الساحر أصبح كجريد النخلة المسنة صمتت ورست قطرات دموعها في قلبها، لمن تشتكي؟ لمن تقرأ عذابها؟ الناس في هذا العصر مجرد أشكال خياليين بدون روح، وبدون دم، القضية قضية قفس أو حياة، الدموع لا تنفع، أسرعت على الطريق المعتم بشظايا الزجاج والكابة تحملها بين أحضانها في الحقل وبينما هي منهمكة في عملها الدؤوب، سألني أحد الرفاق المخلصين قائلاً:

- حال الفتاة هذه الأيام يريبني
- فعلا
- ألا يحق لنا أن نستفسرها؟
- بلى...هذا جميل

طبعا كان كل واحد يشعر بألمها، إنها أختنا، إنها أمنا، إنها زميلتنا، لانعرف غيرها، حنونة طيبة، لذلك سرقت قلوبنا دون أن نشعر، هذا طبيعي فالذي تأكل «ملحه» يجب أن تخلص له لأجل ذلك يجب أن نراها دوما محور يحمل همومنا وأتعابنا وأفراحنا تقدمت منها خطوات خفيفة دون أن أزعجها وسرقتها بسؤال رقيق: مابك ياأختاه؟

صمتت لحظة، ونبرت رأسها، تتأملنا بعينيها البريئتين، الجواب على مثل هذا السؤال صعب، لذلك فهي لا تريد أن تزيد في احراجنا اثرها قالت:

- ماذا عساني أن أقول؟ وإذا قلت لكم الحقيقة، فلا تستطيعوا أن تفعلوا شيئا.

مرت المركبة الشراعية، الهموم تضاعفت يوما بعد يوم، وبينما هي في الحقل كعادتها مع حركاتها الظريفة فجأة قرعت أذنيها كلمات هادئة متخت رأسها تكاتع همسات هذا الصوت الملكوت، التفتت خلفها لتقبض عليه، عندها اصطدمت نظراتها بشاب منتصب أمامها، قامته الشامخة تحجز مساحة كبيرة من الفضاء، وعيناه الواسعتين ينبعث منهما شرر متوهج، انها لا تعرفه من أتى به؟ المهم بادرته قائلة: من أنت؟

- سعيد بن عبد القادر
- أين تسكن؟
- أنا جاركم
- ماذا تريد؟
- جئتك في أمر هام
- ماهو؟

طلب صعب،، ولكن،،

- تكلم،، أنا أسمع

سمعت أنك تريدين الزواج

- بسيط تقولها دون حرج!
- أنا لم أقل عيبا

- أسكت بالله عليك،،أرأيت امرأة تزوج نفسها بنفسها؟ ماهذا الكلام يا أخي؟
- ولكن!،،
- أرجوك أن تصمت
- يعني أنك رافضة
لا..لا..الكلمة الأخيرة لأبي

انتابتها حيرة جارفة، رحلت مع نفسها إلى عالم مشحون بالمتناقضات، ماذا؟!..ماذا حدث؟! هل أنا في حلم، أم في حقيقة؟؟!..ليس هذا وهما، ولكن لماذا قصدني أنا بالذات؟ هناك بنات كثيرات في حينا، ومع ذلك كيف عرف اسمي؟!..بدون شك إنّه يعرفني، ورغم ذلك ما يهمني أكثر هو: هل أتزوجه، أم أرفضه؟ وإذا تزوجته هل تُحل مشاكلي؟ ماذا أفعل؟ اجبني أيها الرأس الخشن،،

فقدت جميع المفاتيح، الفرصة تأتي مرة واحدة في العمر، هكذا يقولون، الطريق نهايته مجهولة، والقدر لا تعرف بماذا سيجيبها، وتبقى فكرة الزواج هي العقدة، العقدة التي تلازمها في كل مكان.

انطلقت في رحلتها المعقدة هائمة بدون هوية، تكابد القلق والأسى، الرفاق القليلون لم يتأخروا مرة عنها، ولكن ماذا بوسعهم أن يفعلوا؟ ليس بامكانهم أن يوقفوا عجلة الكون الهارب المقمطر، القضية قضية الجميع، فسعيدة لا تهمها حياتها بقدر ما تهمها سعادة الآخرين، ورغم ذلك فهم لا يعيرونها أي اهتمام.

أصبحت جرداء عارية، تتذكر أيام عزتها، كيف كانت تختال بين أنامل الحصادين، فتبكي، وتبكي، وتئن تحت أثقال وطأة الحياة، أين الرجال يادنيا؟! أين رحلوا لا..لا يحدث هذا واستفاقت وعادت إلى واقعها، كان الوقت مساء، دخلت إلى الكوخ، وفي مخيلاتها بقايا من الصور الفارة تقدمت، الأب ممدد على الحصير، جلست بجانبه، وسافرت في حنانه تداعب لحيته البيضاء كالثلج فشعر بتيار دافئ يجري في جسده اثرها اعتدال في جلسته ثم خاطبها:

- ماذا حدث لك يابنيتي؟!

- لاشيء..لا تشغل بالك بي
- أنا هنا..لاتخافي
- أعرفك أب شهم

ثم مد يديه وضع رأسها في حضنه ومضى في كلامه قائلا:

- كنت أريد التحدث معك في أمر هام..
- ماهو؟

لقد كبرت...لذا يجب عليك أن تفكري في مستقبلك

- آه،، نعم،، لقد فهمت
- هل اتصل بك؟
- بالطبع
- مارأيك؟
- حسن، يعني أنك موافقة

طأطأت رأسها، ولزمت الصمت، لم تستطع أن تخالف الأب، حتى لو خالفته، فلن تجد حلا لمشكلتها، مادام الواقع هو الواقع، لذا فهي مُسيرة لا حرية لها، ذلك أن هذا الزوج لا تعرف عنه شيئا، ومع هذا تقدمت إلى المغامرة، يمكن أن تنجح وتحل عقدتها، وقد تفشل أثرها فيكون الثمن غاليا وبينما هي مستعدة للذهاب إلى فراشها، بادرها الأب قائلا:

لقد اتفقنا،، قراءة الفاتحة، والعرس في ليلة واحدة

- فليكن كذلك ياابتي

استعدت الفتاة سعيدة لعرسها، جمعت كل مايليق بالعروسة ليلة زفافها، قطع الحرير خيطتها فساتين عند أمهر الخياطات، تسلفت بعض الأساور والخلاخل من صديقاتها، يجب أن تظهر أنيقة جميلة أكثر، أمها قبل قليل ذهبت تستدعي المدعوات، من أخوال، وأعمام، وبعض الصديقات في مثل سنها، المساء أوشك أن يتلفق بها وأمور كثيرة مازالت لم تكتمل بعد، بدون شك موكب العريس في طريقه إلى البيت المتواضع.

نظفت غرف البيت، وجاءت بالقدر والأواني من عند الجارات، والأب رغم كبره هو في حركة دائبة لا يهدأ، الحصر مفرشة، المخدات جاهزة

الزرابي مصففة، براميل الماء مزحمرة، الكل غارق في مهمته، البيت كله حركة مستمرة.

فجأة هتع المساء، نزل موكب العريس، والكبش يتقدمهم برفقة رب الأسرة، انزلوا كيس السميد من فوق ظهر الحمار ادخل صندوق جَهاز العروسة، امسى البيت مزدحما عن آخره بالمدعوين والمدعوات، وفرسان «الدشرة» ببنادقهم وبرانسهم التقليدية، العروسة تصدرت حلقة المدعوات تبكي بكاء الفرحة غابت عن الواقع، فلم تصدق في رؤية هذه المشاهد الرائعة فعلا ليلة كهذه تعتبر في نظرها من أجمل الليالي والأيام إنَّها بداية لبناء منزل جديد، دخل أبو العروسة إلى بحبوحة البيت ببرنوسه الأبيض صائحا: زغردن يابنات، زغردن يابنات، اطلقوا البارود يافرسان «الدشرة»، ضعوا الحنة في يدي العروسة، قرأ الطالب الفاتحة،، دقوا الطبول اشتدت الأهازيج، رقصت العروسة تحت أنغام الحناجر الريفية، صفقت الأيدي ومضت الليلة المظلمة تأكل نفسها.

دخلت العالم الجديد معه،، يد في يد،، رتوة مع رتوة، ومضيا معا في صبيحة مشرقة،، يسيران على ضفاف جزيرة الهوى، يتعانقان، يتناجيان، يتبادلان القبلات، يقتلان أشباح الماضي الدفين، فجأة دق قلبها ارتعش خاف أن تضيع منه الوريقة الرابحة، سأل نفسه، لم لا تكون هذه المعاكسات كاذبة؟ ثم هدأ من جديد يحفان أمام الساقية الراقصة، يترشفان حبات مطر، ثم أرسلا بصرهما معا إلى الطبيعة الخلابة، الفراشات تطوف حول رأسيهما، والورود تعاكس أشعة الشمس الدافئة،، والطيور ماضية في زقزقتها، الذكر يغني، والأنثى ترقص، فجأة انقلب الهيام والسرور إلى شراسة وهمجية، انقض الذكر على أنثاه، فسقطت صريعة قتيلة جزاء عطائها واخلاصها بالطبع توقف الدم في جسد الفتاة سعيدة، نزلت الدموع المحرقة من عينيها، فجأة استيقظت من حلمها مذعورة: أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم،، ماذا حدث لي ياربي؟! ماذا حدث؟! لم كل هذا الحقد؟! لم كل هذا الظلم؟

وبقيت ذاكرتها تسبح في هذا المشهد الرهيب تبحث عن ترجمة لوقائعه، ولكن دون جدوى، كل الطرق موصدة، ما العمل؟ لاشك أن هذا يقضي

على حياتها، انها مشلولة الذاكرة، ماالعمل؟ وبعد قليل من التفكير صاحت فجأة: آه،، هي،، لا يفسر الحلم إلا شريفة، نعم شريفة، إنها عجوز محترفة في هذا الميدان،، أغلب نساء «الدشرة» يذهبن إليها.

أخذت عباءتها بسرعة، هي جارتها لذا فالمسافة قصيرة، دخلت عليها، كانت منهمكة في نسج حصير الحلفاء فاطلعتها على القصة المرعبة، فاندهشت العجوز شريفة،، الحلم في رأيها حدث حقيقي، وإن الفتاة سعيدة ستشهد في الأيام القليلة القادمة لحظات مرة، لذا أمسكت أعصابها أضمرت الحقيقة، ثم أرسلت بسمة مصطنعة، وقالت للفتاة: أهذه هي القصة؟

- نعم،، نعم ياجدتي

- لا، مجرد أوهام،، أقرأي الفاتحة يابنيتي،، لا تخافي

اطمأنت سعيدة بكلام العجوز، بعد أن كادت تغرق في الجحيم المدمر، فظنت أنها نجت من هذا الأخطبوط.

دارت عجلة الزمن بسرعة فائقة، وما من يوم يمر إلا ويشهد فيه البيت تغييرا مخيفا، تغييرًا يحمل في كينونته مآثر الأسى والحزن سعيدة ترفض لأن تبقى مطبقة اليدين، وهو يرفض خدمتها، ماذا بوسعها أن تفعل؟،، فالزوج أصبح لا يطيق حضورها صار ينفر من شكلها، حقق أهدافه استولى على ثروتها أشبع غريزته الحيوانية، قضى على شبابها الفتان، ومع هذا فهي صابرة للقدر لا ترد على صراخه خشية أن تفقده ويسخر منها الأعداء فإن جاء المساء، حملت له قنع الكسرة، وقليلا من الزيت في الصحن ثم خاطبته: كل ياحبيبي.

- حبيبك ياخبيثة!،، وماذا أتيت لحبيبك؟،، أكسرة شعيرة وزيت؟..هه..هه

- ماالذي تريده أكثر؟،، إسهر على خدمتي ستجد الجيد

- طماعة..طماعة، أنا أعرف كيف اكسب قوتي..هيا ارم هذا الأكل إلى الكلب

- شعرت بمخاض في بطنها، ثم تنهدت الصعداء، وردت عليه في أسف قائلة: أنا الغالطة، أنا الغالطة،، يحق لي أن أقتل نفسي.

في هذه اللحظة اكتشفت غلطتها، لماذا لم تسأل عن سنه؟ انها تكبره بعدة سنوات، ومع هذا فهو شاب طائش لا يملك تجربة في خدمة الأرض

واكرها، تعود أن يعيش على كاهل الغير، فكثير مايعود خائب الحظ من المدينة، لماذا؟ المصانع لم تشغله لأنه لا يملك شهادة تخرج، أو أية تجربة، إلا أنه كان يكسب مبلغا محترما عن متاجرة بعض الممنوعات، كبيع الملابس الإمريكية، وتبديل العملة «الدوفيز» ويدفع كل ذلك في شراء أحسن الكاسات، ثم يعود إلى البيت وهو في حالة يرثى لها.

دخل كالمجنون، وهو يتمايل تحت تأثير المخدر، إستلقي على فراشه، فتح المسجلة أكثر وضع رأسه في داخل الوسادة حتى لا يسمع صوتها، لا يبصر حركاتها، وسعدية لا حول ولاقوة لها، كل الحيل فشلت، فلا الابتسامة في وجهه، ولا الكلمة الطيبة استطاعتا أن تلطفا من حالته حتى الحبوب التي جنتها بعرقها من الحقل نفذت، ومع ذلك تسلفت من جارتها دقيقا وخضرًا أهلها نستهم من أجل ارضائه وسعادته، حتى لا تطلق.

ومضت تتعثر لا تلتفت وراءها ورمت بجسدها على جزيرة الحزن،، تبكي وتبكي إلى أن رحلت في عالم الأحلام والاشباح المرعبة.

في الصباح الباكر، وبينما كانت تعد قهوة الصباح فاجأها طرق بالباب، فاجمرت، فتحت الباب فجأة اصطدم بصرها برجل منتصب أمام الباب، طويل القامة، عريض المنكبين، يرتدي بدلة بنية، فبادرها قائلا: صباح الخير.. أرجو المعذرة...هل هذا بيت سعيدة؟

- من أنت؟
- واحد من أعوان المحكمة..خذي هذا الاستدعاء
- من أين؟
- من المحكمة
- لماذا؟!
- لا أدري
- اقرأه لي من فضلك فأنا لا أحسن القراءة
- الاستدعاء يقول: الحضور غدا على الساعة التاسعة بمقر المحكمة

مضى الرجل أوصدت الباب، لم تصدق هذا، لقد فعلها الخبيث ابن الكلب، أيظن أنه سيفلت من يدي؟

لا..لا أبدًا، ومضت تتهيأ للمعركة الحاسمة،و ضاعت منها كل الأوراق الرابحة.

في المحكمة سألها القاضي قائلا:

- ماذا طلبت من زوجك؟

- ماذا تقصد؟

- مثلا.. هل هددك بالطلاق؟

- لا، مستحيل مع أني لست سعيدة معه

التفت القاضي إليه وسأله: ماهي الأسباب التي دفعتك لهذا القرار؟

- حاول سعيد أن يبحث عن بعض الأسباب، ولكنه فشل فصمت دون أن يرد على سؤال القاضي.

اندفعت سعيدة واقفة غاضبة لتصب جام غضبها قائلة: مارأيك ياسيدي في الانسان الذي يضيع حقوق زوجته؟

- بالطبع بالعقاب

في هذه اللحظة شعر سعيد بخنجر قد مزق جسده فقام مندهشا قائلا: العقاب!.العقاب!.

- نعم العقاب..أنت تطلب الطلاق، فهل بنات الناس لعبة في يديك؟

- إنها لا تحبني

- عجيب أمرك أيها المجرم..هذا الحنان..هذه الروح البريئة..هذه التربة الطاهرة..ألا تحبك؟

- نعم

اخرس أيها الكلب، ولكني أحذرك، فان كنت كما تظن انها ستدفع الثمن غاليا، فأنت الذي ستدفعه

- وأنت ما رأيك؟

- ماذا أقول لك بعد أن ضيعني،، أفضل الطلاق على هذه الحياة المرة التعسة

تطلقت سعيدة، تركته يمضي لحال سبيله، رغم أن الثمن كان غاليا، لكن الذنب ليس ذنبه، إنما الذنب ذنبها، تزوجته دون أن تفكر في انسانيته، في وطنيته، في اخلاصه، ومع ذلك سيعود إليها في يوم ما عندما يشعر بالجوع، بالبرد، بالحرارة، بالحرمان.

الفهرس

الإهداء 03
قبّل 04
ملحمة الجزائر 05
أغنية الخالدين 08
نداء 10
سفير 12
همسات راقصة 14
تقاسيم 16
قلب الجزائر 18
الرقصة العشرون 20
كلمات إلى روح مفدي زكرياء 23
عار وخيانة 25
عتاب 27
أه يا وطني 29
أيها البحر 31
إلى أين؟ 35
الزلزال والطوفان 37

مجموعة قصصية

الصراع 40
حصاد الصبر 46
الثمن الغالي 55
الفهرس 64

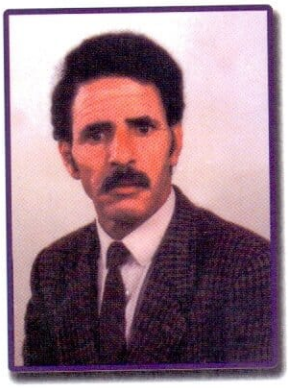

بطاقة تعريف فنية للكاتب

الاسم واللقب: الأخضر بن هدوقه

تاريخ الازدياد: 1951/1/4 بالمنصورة ولاية برج بوعريريج .

الشهادة: متحصل على شهادة الليسانس (اللغة العربية وآدابها) .

الوظيفة الحالية: مفتش التربية والتعليم الابتدائي.

نظم أكثر من 12 معرضا وطنيا ودوليا، تحصل على الجائزة الثانية في المسابقة الأدبية بمديرية الثقافة لولاية قسنطينة سنة 1986 له قصة مطبوعة للأطفال بعنوان سعيد والحمام الزاجل، نائب رئيس فرع اتحاد الكتّاب الجزائريين فرع برج بوعريريج سنة 1997.

ISBN 9947 0 1641 1

9789947016411

عاصمة الثقافة العربية

تصويبـــات لغـويـــة:

إن الأخطاء اللفـــوية المتضمنة هـــذا العمل الأدبي الفني كان نتيجة طبعه من طرف مديرية الثقافة في مدة لا تتجاوز 08 أيام بمناسبة هذا التظاهرة لذا أرجوا المعذرة من كل القراء كما أن كل الأعمال الفنية و الأدبية هي ملتزمة و تتناول المواضيع التاليـــة: الإرهـــاب، الانحطاط الثقافي، الصراع بين الثقافة العربية الإســـلامية و الثقافة الغربيـــة و قضايا التحرر في العـــالم العـــربي الإســـلامي.

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	الحذف	الإضافة
04	3	المسكين		حذف	
06	1	قلاعك	قلاعا		
14	15	وجنتيك	وجئتك		
23	4	صوت	صوتك		
29			آه يا وطني		(فلسطين)
31	17	الحنين	الجنين		
31	21	الجنين	الحنين		
32	21	الشعـــر	الابـــداع		
38	8	سقط	سطع		
40	12	تبق	يبق		

47	16	أثرها	إثرها		
48	1	منح	متخ		
50	5	الى	إلي		
50	16	جزء	جزءا		
50	25	و أرخى	و ارحنى		
52	17	بأن الجبل	بالجبل		
54	2	الملاتبس	الملابس		
54	12	تزل	تزُل		
55	7	مياه بكبرياء		حذف	
58	24	اعتدال	اعتدل		
59	16	أثرها	إثرها		
60	4	الحمار	الحصان		
60	15			حذف	
62	8	سعدية	سعيدة		
66 العنوان	10				1986 في الرواية

مفاتيح بعض القصائد :

الصفحة	النص المفتاح الفني
31	أيها البحر الإرهاب
37	الزلزال و الطوفان مناجاة الوطن في ظل المأساة الوطنية و الانخطاط

مفاتيح فنية للنصوص مع الألواح المرافقة لها للقارئ العادي .

المفاتيح الفنية للقصص .

القصـــــة الأولى: الصـــــــراع

البدوية : الوطن ، الثقافة العربية

الغين و الضرة : الثقافة الفرنسية

العـــــــربي : المقاومة

اللوحة :

القمر : نور الله – الحضارة الإسلامية

الذئاب : الحضارة الغربية

الضاد : اللغة العربية

الخروف : رمـــز للضعف و لكنه محمي بالزجاج المقاوم

2- حصـــاد الصـــبر :

الممرضة الأولى : الاستبداد ، الجشع ، الاستعمار

الممرضة 2 : الـــوطـــــــن

مجلس التأديب : تدويل القضية الجزائرية في الأمم المتحدة

الشيـــخ : التـــاريخ الإسلامي

الـــــزوج : المقـــاومة

اللوحـــة : الرأس و الهلال : الفكر الإسلامي

الساتل و الصليب : الحضارة الصليبية

اللسان : اللغة العربية

كتفا الرجل : مقدمة ابن خلدون (المغلوب مولع بالغالب)

القصـــة الثـــالثـــة :

الثمـــن الغـــالي :

الزوجة : الأرض

الزوج : الشباب الذي أهمل خدمة الأرض

المفاتيـــح الفنيـــة لبعـــض الألـــواح

الـــلـــوحـــة :

الصفحة :

17 أول شهيدة فجرت نفسها في الجنوب اللبناني من أجل القضية الفلسطينية

19 القرآن الكريم المحمي يبحث عن مكان للاستقرار في ظل عالم مضطرب متمرد

24 انا عرضنا الأمانة على السموات و الأرض و الجبال فأبين أن يحملنها و أشفقن منها و حملها الإنسان انه كان ظلوما جهولا .(**71 الأحزاب**)

26 الليل الأحمر : مقاومة الشعب العراقي للحصار من أجل القضية الفلسطينية، ليلة الهجوم على بغداد مـــن طرف الدول الغربية.

30- **النسر** : الامبريالية الأمريكية

الصقر : الوحدة الأوروبية

الحمام : السلام

الهلال : الإسلام

34 – البؤس ،التشرد ، الحرمان، الاستعمار